دلالات الليل في الشعر الجاهلي

الوالي أحمد محمد الوالي و الفاضل أحمد الخضر البله
[1.2] جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة ظاهرة الليل بطبيعته الزمانية، (دلالات الليل في الشعر الجاهلي) وترجع أهمية هذه الدراسة لمعرفة الليل لغة واصطلاحاً، وتسليط الضوء على جملة من الأهداف التي تكشف دلالات الليل في تجربة شعراء الجاهلية، وإبراز ملامح الليل بصفته ظاهرة طبيعية لها حضورها في أشعار الجاهليين، وتوصلت هذه الدراسة الوصفية إلى نتائج منها: أن الليل كان باعثاً للآلام والهموم والأحزان والقلق، وكذلك ساحة لإبراز صور الشجاعة والإقدام، وأيضاً مبعثاً للسعادة وصفاء القلب من خلال تلاقي العاشقين.

كلمات مفتاحية: الظلام، الشجاعة، الطيف.

ABSTRACT :

This study deals with the phenomenon of the night by its quiet nature (the meaning of the night in the pre-Islamic poetry).

The importance of this group is due to the knowledge of the meaning of the night in the language and its terminology, and to highlights a number of indication that reveal new aspects of the experience of the pre-Islamic poets and the appearance of the night as a natural phenomenon . The result of this descriptive study include : that the night was a cause for pain ,anxieties , grief and worry, as well as a scene to show pictures of courage and fearlessness, and also a cause of happiness and purity of heart through the convergence of lovers .

Key Words : Darkness, Bravery and Spectrum.

المقدمة:

الحمد لله مالك السماوات والأرض، ومبدع الليل والنهار، والصلاة والسلام على هادي الأمة ونور الظلمة نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين .

تبقى صور الليل من اللوحات الفنية التي تستحق البحث والاهتمام والتأمل والدرس لما فيها من إيحاءات وقيم إنسانية، تضيء جوانب من النفس البشرية وتتجلى فيها عوالم هذه النفس ومجاهيلها المتسقة مع سواد الليل وظلمته فهو الذي يكتسب أهمية كبيرة في شعرنا القديم بملامحه ودلالاته التي تعددت وتلونت باختلاف نظرات الشعراء إليه . تلك النظرات صورت العلاقة المتينة بين الشعراء والبيئة المحيطة بهم فتجلت بصور مختلفة متباينة تارة ومتشابهة تارة أُخرى من حيث كونها تشكل مصدراً لهموم الشعراء وباعثاً لعواطفهم وخيالاتهم .

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من أهمية موضوع الليل إلا أنه لم يدرس بصفته ظاهرة محورية، ومستقلة في أشعار الجاهليين، وهذه المفارقة الواضحة تؤكد على أهمية الموضوع من ناحية، وتبرير قلة الإهتمام به من ناحية أخرى إذ لم يحظ بعناية متفردة وبحث جاد إلا من قبل بعض الباحثين الذين اختصروا على دراسة الليل في الشعر العربي، وقد كان تركيزهم منصباً على بعض الموضوعات مثل الغزل ، والحكم ، والكرم وغيره .

بل كان تناولهم له على شكل ومضات من خلال إلقاء الضوء على بعض النماذج الشعرية في بعض العصور وفي أغلب الاحيان كانت كتاباتهم مقالات وبحوثاً مختصرةً أصبحت بذرةً للعديد من الدراسات اللاحقة.

ومن هنا كان اهتمام الباحثينِ بصور ودلالات الليل والنظر إليه من رؤية الشعراء الخاصة كونه يوفر لهم المجال الذي يناسب خيالاتهم ويوافق تطلعاتهم إلى السفر للتحرر من قيود البيئة التي تحد من حريتهم وتشكل مصدر الألم لهم كما يهدف اهتمام الباحثينِ بالليل إلى الكشف عن أي تغير محتمل في صوره ودلالاته بين شعراء الجاهلية. وتأتي أهمية هذه الدراسة في تسليط الأضواء على جملة من الدلالات التي تكشف جوانب جديدة في تجربة شعراء الجاهلية التي تجعل الليل مجالاً فسيحاً للغوص في أبعاد ملامحه ودلالات صوره للتعبير عما يجول في خواطر الشعراء ومايخبؤوه في نفوسهم .

وبعد أن فكّر الباحثانِ في هذه التجربة الشعرية وحاولا تقصي ملامح الليل فيها وجدا أنه من المفيد السعي للاستفادة من المناهج المختلفة التي من شأنها أن تسهم في الوصول إلى نتائج دقيقة من خلال الدراسة النصية وما يمكن أن يوفره تحليل النصوص من ومضات فكرية وعاطفية .

مشكلة الدراسة:

تحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:

ما الليل وما دلالاته في الشعر الجاهلي ؟

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس أسئلة عدة:

1- ما علم الدلالاة في اللغة والاصطلاح ؟

2- ما مفهوم الليل عند الشعراء الجاهليين؟

3- ما دلالات الليل واحاءاته في الشعر الجاهلي؟

أهمية البحث:

تشير أهمية هذا البحث إلى تمثيل خطوة مضيئة في عتمة مجاهيل الشعر الجاهلي عن الليل ودلالاته، ولإبراز ملامح الليل بصفته ظاهرة طبيعية لها حضورها في أشعار الجاهليين وصورة في الوعي لها فاعليتها في التعبير عن رؤية الشعراء ومواقفهم الشعورية.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف التالية :

1- نبذة عن علم الدلالة ومايصبو اليه.

2- التعّرف على مفهوم الليل عند الشعراء الجاهليين.

3- بيان دلالات الليل واحاءاته في الشعر الجاهلي.

منهج البحث:

يتبع الباحث المنهج الوصفي لأنه الأنسب لهذا البحث.

الدراسات السابقة :

الدراسة الأولى:

1- دراسة مازن أحمد عثمان، عنوانها: (الليل ودلالاته في شعر الجاهلية وصدر الإسلام)، رسالة دكتوراة مقدمة لجامعة تشرين،2013م.

من أهدافها: التعرف على مفهوم الليل والنظر اليه من رؤية الشعراء الخاصة كونه يوفر المجال الذي يناسب خيالاتهم، ويوافق تطلعاتهم إلى السعي للتحرر من قيود البيئة التي تحد من حريتهم وتشكل مصدر الألم لهم. كما يهدف البحث إلى الكشف عن أيِّ تغير محتمل في صوره ودلالاته بعد إشراق الإسلام على الجزيرة العربية، وماقدمه من فهمٍ جديد للعالم. **ماتوصلت اليه الدراسة.**

1- غالباً ماكان طول الليل دليل أرق وهموم، وقصره دليل سعادة وسرور، وكثيراً ماكان الليل عند الشعراء مرتكزاً للوصول الى عالمهم النفسيولم يُ ستخدم الليل للتعبير عن المشاعر المؤلمة فقط، وانما عبَّر فيه بعض الشعراء عن سعادتهم وإعجابهم بممدوحيهم وتعظيمهم لهم.

2- التوصل إلى أنَّ الشعراء هم الذين جعلوا الليل يتلوَّن بألوانهم النفسية ورؤيتهم ذواتهم على حقيقتها، فأصبح الليل عندهم في إطاره النفسي متعدد الألوان والسمات، لذا تعددت دلالات الليل وتباينت تبعاً لتباين أوجه علاقة الشاعر به.

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي والتحليلي والتاريخي.

الدراسة الثانية:

3- دراسة زكية بنت عوض بن يوسف، عنوانها: الليل فى شعر الصعاليك، من الجاهلية إلى العصر الأموي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة الملك فهد،2009 .

اهداف الدراسة:-

تهدف الدراسة إلى إبراز ملامح الليل و حضوره الفاعل فى أشعار الصعاليك منذ العصر الجاهلي، إلى نهاية العصر الأموى ، لعلها بذلك تسهم فى إلقاء الضوء على جانب مهم من جوانب تراثنا الشعري القديم , وأخص بذلك شعر الصعاليك.

النتائج التى توصلت اليها الدراسة: أن ليل الشاعر الصعلوك لم يكن فى دائم الأحوال ليلاً دموياً، بل كان فيه و قفات، وتأملات ذاتية ذاق فيها الصعلوك حلاوة الانزواء ، و الخلوة الوجدانية، فراح يفلسف تلك الوحدة بتأملاته الشعرية فيما حوله من المظاهر الطبيعية الصحراوية المختلفة التى طالما قلّبت عليه آهات الحنين للاستقرار، و أوجاع الشوق للأهل و الأحباب، فبات تلك الليالى مع عذاب الذكريات حينا، و مع آلام الاضطهاد الاجتماعي أحياناً أخرى.

منهج الدراسة: المنهج الاستقرائي و التحليلي الذاتي

تعريف علم الدلالة في اللغة والاصطلاح:

أ/ في اللغة:

قال بن فارس: الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخر: اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة. (ابن فارس، 1979، ص259)

ويقول الجوهري: الدلالة في اللغة مصدر دلَّ يُ على الطريق دَلالةً ودِلالةً، في معنى أرشده. (الصحاح، 1990، ص1698)

ب/ في الاصطلاح:

ذكر التهانوي أنَّ الدلالة في مصطلح أهل الميزان (المنطق) والأصول والعربية والمناظرة هي أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم بها العلم بشيء أخر. (كشاف اصطلاحات الفنون، 1996، ص787)

وحدها الأصفهاني بقوله:اعلم أن دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سُمِعَ أو تُخُيِّلَ لاحظت النفس معناه (بيان المختصر، 2004، ص120)

وقال بن النجار: كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر فالشيء الأول: هو الدال. والشيء الثاني هو المدلول. (شرح الكوكب المنير، 1998، ص125)

ومال أحد الباحثين إلى تعريف ابن حزم وغيره هو أن الدلالة: فعل الدليل. (التمهيد في أصول الفقه، 1985، ص61)

وبعد أن عرّف الأصوليون الدلالة بأنها فعل الدليل، عرَّفوا الدليل بأنه المرشد إلى المطلوب، والموصل إلى المقصود، ولا فرق بين أن يحصل منه العلم أو غلبة الظن. (التمهيد في أصول الفقه، 1985، ص61)

أما عن المُحدَثين، فقد عرَّف أحدهم الدلالة بأنه: العلم الذي يدرس المعنى، أو دراسة المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى. (علم الدلالة، د–ت، ص11)

وجعله بعضهم مرادفاً لدراسة المعنى. (علم اللغة، د–ت، ص213).

يتبن من هذا العرض لمفهوم الدلالة عند من سبق من أصحاب المعاجم والأصوليين أنَّ النظر في الدلالة لم يكن حكراً على اللغويين، بل شاركهم في تصورها علماء ومفكرين آخرون.

وعلى ذلك؛ فإنَّ علم الدلالة معْنِي بالمعنى في المقام الأول، ويعكف على دراسته وذلك ما تحتاجه هذه الدراسة.

فهوم الليل عند العرب:

تعريف الليل لغةً واصطلاحاً:

الليل عند علماء اللغة اسم للجنس (ابن سيده، 1901، ص44).

وقيل: الليل واحد بمعنى جمع واحدته لُيْلَة، مثل : تمرة وتمْر (البستاني، 1977، ص34).

وقد جُمِعَ على ليالٍ على غير قياس (ابن منظور، 1981، ص607).

والليلُ ضدُّ النّهار، والليل ظلام الليل، والنهار الضِّياء، فإذا أفردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة ويوم، وتصغير ليلة لُيَيْلة،أخرجوا الياء الأخرة من مخرجها في اللّيالي (الأزهري، 1967، ص 443).

قال تعالى:چ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ چ (الليل، الأية 1–2)

ويقال الليلة : ليلتك التي أنت فيها، والبارحة الليلة الماضية فيها. والبارحة الاولى التي كانت قبل البارحة ، وكأنها سميت البارحة من برحت، أي مضت وذهبت . أما القابلة هي التي تأتي بعد ليلتك الأنت فيها، وكأنها مأخوذة من الاستقبال (قطرب، 1985،ص107).

والليل خلاف النهار مذكر ومؤنث(البستاني،1977، ص834).

وتقول العرب: هذه ليلة ليلاء، إذا اشتدت ظلمتها، وليلٌ اليل. وسمي الليل ليلا لأنه يلالي بالأشخاص حتى يتشكك الناظر في الشيء فيقول : هوهو ثم يقول لالا (الأزهري،1967، ص443).

ويُرجع ابن قتيبة تسمية الظلمة ليلاً إلى الله تعالى حين يقول: قرأت في التوراة في أول سفر من اسفارها، أن أول ماخلق الله تعالى من خلقه السماء والأرض، كانت الأرض خربة خاوية، وكانت الظلمة على القمر.

وكانت ريح الله (تبارك وتعالى)، فرفّ على وجهه الماء، فقال الله تعالى: ليكن النور، فرآه الله حسنا فميّزه من الظلمة، فسمّاه نهاراً،وسمى الظلمة ليلاً (ابن منظور،1983،ص9).

أما حدّه فمن مغرب الشمس الى طلوع الفجر الصادق أو الى طلوع الشمس(ابن قتيبة، 1981، ص9).

بعض أجزاء الليل عند العرب.

ينقسم الليل عند العرب الى عدة أجزاء ، حسب الزمن المخصص له. فإليك بعض أجزائه.

يقول ابن قطرب في الجزء الذي خصصه لليل وساعاته : قالوا في الليل، خرج بعد غشوة من الليل أي عشاء، والعشاء، اختلاط الليل الى أن يغيب الشفق. وقالوا : فحمة العشاء آخره، وقالوا: الملث، بين العشاء والعتمة، وقالوا: بقطع من الليل، بسواد من الليل، أي بغلس. قال المرار الفقعسي:

يَ وَم ارتَمَتْقَ لبي بِلُهْمٍ لحْظها ** أمُّ الوليدِ في نِساءٍ غُلّس (الملوحي، 1993، ص362).

والجون من الليل وسطه. وقالوا : في واحد الآناء من قوله تعالى چ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ چ (ال عمران، الآية 113).

وقالوا : الغبس بعد الفحمة، وغبس الليل واغبس واغطش ، قال الشنفرى:

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وغَبْسٍ وصُبْحَتي *** سُعارٌ وإرزيزٌ ووجرٌ أفكل (الشعراء الصعاليك، د– ت ، ص63).

وغبش وأغبش. ثم الغلس، ثم العسعس، قالوا : عسعس الليل عسعس. قَالَ تَعَالَىٰ: چ ک گ گ گ چ (التكوير، الآية 17).

أي اظلم . وقال بعضهم: عسعس: ولّى. وهذا من الأضداد وهو قول ابن عباس. قال علقمة بن قرط التيمي :

حتّى إذا الصُّبحُ لهاندَ قَسّا ** وانْجابَ عنها لَيلُها وعَسْعَسا

فالمعنى هناولّى: وقال بعضهم: غسا الليل يغسو غسوا، وأغسى ، ودجا يدجو دجوا وأدجى.

قال عمر بن براق:

إذا الليّلُ أدْجَى واكْفهرَّ ظَلامُه *** وصَاحَمن الإفْراطِ وٌم جَواثِم (الشعراء الصعاليك، د– ت، ص108).

واغطش الليل ، قال تعالى چ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ چ(النازعات، الآية، ص29).

ويقال: غسق الليل يغسق غسوقا وغسقا، أي أظلم. قَالَ تَعَالَىٰ: چ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ چ (الفلق، الآية 3).

ويُ قال ايضا: سجى الليل وأسجا ويوم أسجى ، وليلة سجواء، وهي اللينة الساكنة , وبعير أسجى , وناقة سجواء, أي أديبة. وتحندس الليل من الحندس. وليلة مدلهمة, ومطلحمة، وخدارية. والقترة، الظلمة مع الغبار.

قال تعالى: چ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ چ (عبس، الآية، 41).

الليل ودلالاته:

لقد تعددت دلالات الليل وتلونت باختلاف نظرات الشعراء إليه' تلك النظرات صورت العلاقة المتينة بين الشعراء والبيئة المحيطة بهم 'فتجلت بصور مختلفة متباينة تارةً 'ومتشابهة تارةً أخرى' من حيث كونها مصدراً لهموم الشعراء' وباعثاً لعواطفهم وخيالاتهم .

طول الليل ودلالته النفسية على الشاعر الجاهلي

نجد أنَّ ليل الحزين والمهموم من أشد الليالي طولاً على النفس' ولذلك ضاق بها الشاعر الجاهلي ذراعاً. فعرض له في شعره مستمداً صوره مما يشيع في حياته من سمات الخوف والرهبة والفزع مجسداً من خلال ذلك أحزانه وآلامه .

وأمرؤ القيس من أدقّ شعراء الجاهلية تصويراً لألمه وهمومه إذ يُقرن ذلك بالليل أوثق قران . ففي لوحة من لوحات معلقته تتابع الصور الليلية تتابعاً يتساوق الشكل مع المضمون تساوقاً فنيًّا يفضي إلى الإحساس بأن الليل كابوس ثقيل يجثم على الصدر حتى لايدع للمرء متنفساً.

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ **** عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ *** وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي *** بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ (امرؤ القيس، 1984، ص18-19).

يصف امرؤ القيس الليل أنه ليلٌ طويل قد أثقل عليه هموماً وأحزاناً بطوله وعدم انبلاج الصبح مما يدل على طول ليله وتأثيره النفسي عليه.

وليل الحزين يقترن بالسهد ومجانبة الرقاد فبمقدار تلبد الهموم في حنايا النفس يتجسد الليل الذي يزيل فيه النوم عين المرق المسهد . وهنا يعود أمرؤ القيس ليتولى صورة الليل مقترناً بالسهد والأرق . يقول امرؤ القيس:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمِدِ *** وَنَامَ الخَلِيُّ، وَلَمْ تَرْقُدِ

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ *** كَلَيْلَةِ ذِي العَائِرِ، الأَرْمَدِ (امرؤ القيس،1984،ص53)

يضفي امرؤ القيس في هذا البيت لوناً آخر من ألوان الليل وطوله حيث نام الأصحاب ليلهم كله وظلَّ هو كأنه يعاني مرضاً في عينه حرمه النوم، وهذا جعل ليله من أطول الليالي.

واستعانته بالليل لتصوير همومه يتجاوز الحد الأدنى لهذه الاستعانة حتى يعمد إلى المجاز الذي يسميه البلاغيون بالمجاز العقلي حيث يسند فعل المبيت إلى الليل نفسه . وكأن الليل هو المؤرق المسهد. ثم يفجأنا بتشبيه سهاد الليل بليل آخر يعاني فيه العائر وجعاً في عينيه.

أمَّا النابغة الذبياني فقد ضاقت الأرض على رحبها بالرجل بعد أن وجد نفسه طريداً مهدداً بالموت إثر وشاية من شانئه .

وهو الرجل الذي تأبى عليه أخلاقه العربية ايراد موارد التهمة فضلاً عن ارتكاب فاحشة . فهو يبذل جهداً غير اعتيادي لإظهار براءته' فليله يجسد له هذه الهموم اللاهبة والأحزان المؤرقة . ذلك الليل هو ليل نفسي وليس ليلاً علمياً، لأن الشاعر نقض حدود العقل والمنطق' ونما إليه حالة نفسية جعلته ليلاً يخالف سائر الليالي بتباطئه وعدم انحساره

يقول النابغة:

كليني لهمٍ ، يا أميمةَ ، ناصبِ *** و ليلٍ أقاسيه ، بطيءِ الكواكبِ
تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ *** و ليسَ الذي يرعى النجومَ بآيبِ
و صدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همه *** تضاعَفَ فيه الحزْنُ من كلّ جانبِ (النابغة، 1970، ص177).

يقترب النابغة في نزعته الفنية من أمرؤ القيس في تصور الليل ثقيلاً متباطئاً أو مشدوداً إلى موضع ثابت فأضفى عليه الواناً من الحزن حتى يئس من زواله.

والكثير من الشعراء قد أشار بعضهم إلى ليلة خاصة بعينها يسمونها ليل التمام (أطول ليلة من ليالي الشتاء) وهي عندهم رمز لأشد ما يعانيه الشاعر من ضيق وبرم يصلان حد الرهبة والفزع.

وليل التمام لاتختلف أجواؤه في جانب تصوير الجو الرهيب عن بقية الليالي إلّا بما تلقيه في أعماق النفس من استشعار الطول والتباطؤ.

يقول أمرؤ القيس في ذلك :

أعِنّي على النّهامِ والتّكَرات *** يَبِتْنَ على ذي الهَمِّ مُعتَكِرات
بِلَيلِ التّمـامِ أو وُصِلْنَ بِمِثْلِهِ *** مُقاساتِ أَنّاتٍ وطولِ حَسَراتِ (ديوان امرؤ القيس، 1984، ص78-79).

أنَّ أجواء البيتين توحي بالهموم والأذكار،ولكنّه عبر عن مشاعره هذه بربطها بليل التمام . ومن شدة مايعاني مع إعطاء الملمح الأعمق لهذا الشعور. فلم يكتف بليل واحد من الليالي بل ضاعفه بقوله : أو وصلن بمثله فيتعمق الإحساس بما يبث من شكوى وألم. كما جعل لضيقه الذي يعتلج في صدره منافذ الأمل في انقضاء الليل واسفار الصبح. ومن خلال ذلك نحس أن الرجل يمتلك طاقة نفسية داخلية يعالج بها معاناته . وقد حافظ على توازنه ولم يكن مستسلماً لليأس.

وعنترة يستثمر اللون في تصوير حزنه. فالسواد الذي التمسه لوناً لأحزانه هو من نفثات الأحاسيس الداخلية فلونه الأسود يشكل في أعماق نفسه عقدة والليل بسواده هو الآخر يشعره بمأساته الشخصية' كما هو اللون الذي يتسق مع همومه وأحزانه. ومن أجل ذلك كان سواد الليل هو سبيله إلى تصوير مشاعره كما هو واضح في قوله.

ومن خلال جو غير جو الحزن والألم يعرض امرؤ القيس لليل التمام إذ يقول:

كأنّ المُدَامَ وصَوبَ الغَمامِ **** وريحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرْ
يُـلَـثُ بِـبَـهْـرَاءَ أُثيـابُهـا **** إذَا طَرّبَ الطّائِرُ المُسْتَحِرْ
فَبِتُّ أُكَابِدُ لَيْـلَ التَّـمامِ **** والقَلْبُ من خَشْيَةٍ مُقْشَعِرْ (ديوان امرؤ القيس، 1984، ص157-158).

وانه على موعد. فكان الجو مشعر بالأنس إلا أنه مشوب بالخوف وقلبه من شدة الخوف اعترضته هزَّة وقشعريرة. كل ذلك يرسم جو الرهبة .وليس أوقع في النفس من خلال صورة ليل التمام الطويل بذاته والطويل من خلال معاناة الشاعر المُنتظِر.

والشعراء الاخرين حين تستبد بهم الهموم والأحزان يغمسون ريشة الفن في سواد الليل يلونون به مشاعرهم، ولذلك كثرت هذة النبرة عند أكثر من شاعر وحيث يقول المهلل :

بات لَيلي بالأَنَعين طَويلا **أَرْقُبُ النَجمَ ساهِراً لَن يَزولا (شعراء النصرانية قبل الإسلام، 1999،ص178).

فإن الشطر الاول من بيتهليس إلا حديثاً مباشراً عن طول الليل . حيث تعوزنا الصورة التي تجسد الطول والإحساس به إحساساً ينفذ إلى اعماقنا فأن ذلك نلتمسه في الشطر الثاني في حركة الترقب للفجر الذي يعني

النفس بانبلاجه ولكن الأفق يضيق حين يرى النجم ثابتاً لايريم ، ساهراً لن يزول . فهنا تضيق النفس بهذا الليل الراكد الجاثم .

وعدي بن زيد العبادي ينحو في موقفه من الليل منحى الشعراء الآخرين في ذكر الليل الطويل حيث يقول:

طالَ اللَيلُ عَلَيَنا وَاعتَكَر *** وَكَأَنّي نائِرُ الصُبحِ سَهِر

مِن ذَجِيٍّ الهَمِّ عَدي ثاوِياً ***فَوقَ ما أُعلِنُ منه وَأُسِر

لم أُغمِضْ طُولَه حتَّى انقَضَى ** أتمَنَّى لو أَرَى الصُبحَ جَشَر ديوان عدي بن زيد العبادي، 1965، ص59).

إن الهم جعله يشعر بطول الليل واعتكاره، فهو لم يستطع أن يغمض عينه فتمنى أن يشرق الصبح ولكن لم يجد ماتمناه، وتعبيره عن هذا الشعور جاء على صورة معادلة بين الهم والليل .

فمن هنا يتضح لنا أنّ طول الليل بجميع صوره وأحداثه إنما شكل مصدر هموم وأحزان ورهبة للشعراء الذين عانوا منه كثيراً حتى جعلهم يعبرون بهذا الإحساس العميق إزاء هذا الليل الطويل.

السفر ليلاًودلالته :

السُّرى "سير الليل كله"، والسّرى : لايكون إلا سير الليل ".

تقول بنت الشاطئ حين ما تعرضت لتفسير قوله تعالى چ ﭑ إِذَا يَسۡرِ ﴿٤﴾ چ" (الفجر، الآية4).

السرى في العربية : السير عامة الليل ، وفي دلالته اللغوية الأولى معنى الخفاء ، وربما كان أصل استعماله الحسي في السُّرى ، وهو عرق الشجرة دبَّ تحت الارض ، لحظ فيه الامتداد مع الخفاء فأستعمل في السُّرى لما في السير مدى بالليل من خفاء ، واختص السرى بالليل تمييزاً له عن عامة السير ، والأصل ان الليل يسرى فيه. (التفسير البياني للقرآن الكريم، ص 132-133)

ويعد سرى الليل عند العرب قديماً من المفاخر التي تبرز مايتمتع به الشخص من مقومات البطولة والجرأة.

ونجد أن الشاعر الجاهلي ارتبط بأرضه وتعلقه الوجداني بها جعلاه بثقل وطأة الرحيل على نفسه، وهو _ مع ذلك _ مضطر إلى شدّ الرحال بين حين وآخر، مدفعاً اليه بجملة من عوامل هي مقتضيات حياته.

ولقد كان الليل حاوياً للكثير من الحكايات المعبرة والصادقة لحياة فئة من الذين يعانون من شدة الحياة الصحراوية القاسية.

يقول الأعشي الكبير:

لا يُسمعُ الْمُوفِيهَا مَا *** يُؤنِسُهُ بِاللَّيلِ إِلَّا نَدَيمَ الْبُومِ (ديوان الأعشى، 2003، ص215).

فالأعشى يصف الصحراء ليلاً بالصمت المهيب حيث يُسمع فيها إلا صوت البوم مما جعل بعضهم ينسبون الخوف والشر جلّه للصحراء ووحشتها .

وكذلك شبهوا وحشتها بعزيف الجن قال الأعشي الكبير في ذلك :

وَبَلدَةٍ مِثلِ ظَهرِ التُّرسِ موحِشَةٍ *** جَلَّلتُ بِاللَّيلِ في حافَاتِهَا زَجَلُ .

لا يَتَمَنّى لَهَا بِالقَيظِ يَركَبُهَا *** إِلّا الَّذينَ لَهُم فيمَا أَتَوا مَهَلُ

(ديوان الاعشى، 2003، ص201).

فالشاعر يرسخ لنا ماكان فاشياً عن الصحراء ومجاهلها ونسبة مايحدث فيها ليلاً للجن مما جعل السير بها ليلاً لا يكون إلا للمضطر وهذا مايعزز جانب الرهبة والخوف منها.

ومن هنا نتبين أن انتقاء الشاعر للرحلة والسرى في ثنايا الليل يعد بمثابة الغوص في أعماق النفس الإنسانية والكشف عن رغبة دفينة لديه في الانتصار على الزمن ، وتغيير الواقع القاسي الذي عايشه ومر به.

وغالباً ما يعمد الشاعر الجاهلي إلى تصوير الليل بصفته ظرف السرى الزمني والمحور الأساسى في هذة التجربة مضافاً إلى عناصر أخرى ، ليحيطه بمزيد من مقومات المخاطر التى تحف بمغامرته . ومن هنا كانت الصحراء بكل ماتنطوي عليه من أسباب الهلاك والفناء من أهم العناصر التي جاءت مقترنةُ بالليل في رحلة السرى ، والمدى الواقعي لهذة التجربة.

وعلى ذلك يقول عنترة :

أطْوي فيافي الفلا واللَّيلُ معْتكِرٌ ** وأقْطعُ البيدَ والرَّمضاءُ تَستعرُ.

ولا أرى مؤنِساً غيرَ الحُسَام ولَوْ *** قلَّ الأَعادِي غَاةَ الرَّوع أَو كَثُروا (ديوان عنترة، 1992، ص40).

لا يتغير من نظرتنا إلى استخدام الليل عنصراً من عناصر التحدي أن يستعير عنترة من النهار صورة إلى جوار صورة الليل هي الأخرى تعبر عن التحدي فهو متحدٍ للأهوال شاهراً سيفه دون تردد أو خوف في مثل تلك الأماكن.

ويقول الأعشى أيضاً:

بشُجَاعِ الجِنانَ يخْتَرُ الظَّلْماء ** ماضٍ على البلادِ خَشُوف

مُستقِلٌّ بالرَّدْفِما يَ جَعلُالجرَّة ** بعْدَ الإدْلاجِ غير الصَّرِيف (الأعشى الكبير،2003، ص27).

وصف الأعشى جمله بأنه شجاع يتحدى الظلام فيخترق حُجُب الليل الكثيفة، متقدماً لايخاف ولا يتردد. وأن هذا الجمل القوى لايبالي أن يركب وراء صاحبه ويسير الليل كله خالي الجوف من الطعام، فلا يجترَّ ولا يسمع صرير أنياب قط.

يقول عنترة في ذلك متحدياً مجاهل الصحراء في ذلك الليل الدامس ومُظهراً لصور الشجاعة والبطولات :

وكَيْفَ أَخْشى مـنَ الأَيَّام نائبةً *** والدَّهْرُ أَهْوَنُ ما عِنْدي ذَوائبُه.

كم ليلةٍ سرتُ في البيداءِ منفرداً***واللَّيْلُ لَ لْغَيْبِ قَدْ مالتكَواكبُه (ديوان عنترة،1992، ص8).

إن السير في البيداء منفرداً أمر لايخلو من خطورة ، وقد يقوم بهذة الرحلة كل من ارتبط مصيره بمثل هذة البيئة. ولكن السير في الليل منفرداً لا يتأتى الا ممن أُوتي نصيباً وافراً من الشجاعة والإقدام، فعنترة لا يخشى شيء فمصائب الدهر أهون عنده بكثير، فلم يكن سيره في الصحراء حديثاً بل تعود على ذلك مراراً وتكرارا.

إن ما سبق يدل على أنّ الرحيل يمثل تحدياً وقوة،ولكن تارةً قد يكون باعثاً على الحزن والألم كما في قول أعشى قيس:

فَدَعْ ذا ولكن رُبَّ أرضٍ مَتيهةَ ** قطعتُ بحَر جُوجٍ إذا الليلُ أظْلَما

يذُ اجيه كالفحْلِ فيها تجَاسَرَ ** إذا الرَّكْبُ النَّاجِي استقَى وتَمَّما

ترَى عَيْنها صَفْواءَ في جَنبِ موقِها **تُراقبُ كَفِّي والقِطَ الُمحْرِما

كأنِّي ورَحْلِي والعِتَانِوذَ مُرقِي ** على ظَهرِ طاوٍ الْفَ الخَدَّ أخْثَما شعراء النصرانية قبل الإسلام، 1999، ص20).

هذا رحيل يمثل التحدي، وهو رحيل لابد منه، ولابد إذاء ذلك أن يمضي في هذا التيه الذي يعرِّض نفسه فيه إلى مخاطر، والليل البهيم يحف بهذه الرحلة الخطرة. من خلال ذلك نحس أنَّ هذا الرحيل كان من أجل غاية قد

لايفصح الشاعر عن مدى خطورتها في حياته،ولكن جو التحدي الماثل خلال الأبيات هو الذي يُشعرنا بخطورة ما يقدم عليه.

ولكن امرؤ القيس يسمعنا نبرة غير هذه النبرة التي عرفناها عند أعشى قيس حيث يقول:

أَلِمْ أَنْصَبَاحاً أَيّهَا الرَّبْعُ وَانْطِقِ **** وَحدِّثْ حديثَ الركبِ إن شئتَ واصْدقِ

وَحدِّثْ بأَنْ زَالَتْ بلَيْلٍ حُمولُهُمْ **** كذَخْلٍ من الأعراضِ غيرِ مُذَبَّقِ (ديوان امرؤ القيس، 1984، ص).

فالشاعر يهيم في ديار الراحلين ويرجو الربع أن يتحدَّث،فهو ليس قادراً على أن يُفصح عن مشاعره لما أصابه من ذهول وما إعتراه من حزن وألم حين كان فراق محبوبته ليلاً.

أما عنترة فإنه يقرب من حديث امرؤ القيس في قوله:

إن كُنتِ أزْمعتِ الفِراقَ، فإنّما *** زُمّتْ رِكابُكُمُ بِلَيْلٍ مُظلِمِ

ما راعَني، إلاّ حُمولَةُ أهلِها *** وَسْطَ الدِّيارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمخِمِ (ديوان عنترة، 1996، ص188)

فهو يقف حزيناً إزاء رحلة الحبيبة، والحزن من شأنه أن يلون الحياة بالرهبة وغيرها. كما يسرد رحيلها في ذاك الليل المظلم مما عمق من حزنه وألمه.

إذن لابد أن يكون الليل مصوراً لهذا الإحساس المتلون بالرهبة والكآبة. وربما كان الرحيل في وضح النهار. ولكن إحساس الشاعر الحزين هو الذي يضفي عليه غلالة الليل القائمة الكئيبة.

ولعل الإنسان في ساعة الرحيل يمر بحالة زهول ووجوم، لا قِبل له بالإفصاح عما يجيش في جوانحه فيلتزم الصمت الرهيب، وما أن يفرغ إلى نفسه بعد سويعات هدأة تتفجر المشاعر الحزينة، وتتلاحق في خضمها ذكريات الحبيبة وترتفع هذه المشاعر زروتها حين يجن الليل ويهدأ كل شيء من حوله.

ورحيل المتلمس لايكون إلا ليلاً، ولذلك فإنّ الليل يأخذ بعداً عميق الغور في نفس المتلمس، ذلك أنه طريد منفي يعاني الغربة والحنين، لايقر له قرار ولا يهنأ له المكوث في موضع

يقول:

إنَّ العِراقَ وَأَهلَهُ كانُوا الهَوى *** فَإِذا نَأى بي وُدُّهُم فَلِيَ بُعدِ

فَلَتَتْرُكَنَّهُ مُبلِيلٍ ناقَتي *** تَذَرُ السِماكَ وَتَهتَدي بِالفَرقَدِ (شعراء النصرانية قبل الإسلام، 1999، ص341).

إذاً نلتمس من خلال ذلك كله أنَّ الرحيل والهوى ليلاً يمثل تحدياً وقوةً دالان على الشجاعة والإقدام حيناً، وحيناً أخر يدلان على الحزن وارهبة ولألم، وكلاهما يؤلف لوحة الرهبة والتهيب والتوجس.

الليل وتلاقي العاشقين وستر الظلام:

إنّ حب المرأة عاطفة إنسانية خالدة بكل ماتحمله من دلالات الحياة والخصب والبقاء، ولقد غامر الشاعر الجاهلي تحت جنح الظلام، وتجشم الأهوال كغيره من العشاق ليصل إلى تلك الحبيبة تحت أستار الليل، غير مبالى بما يصله من أخطار، ولقد ميزت العرب قديماً بين ليل الراقد وليل المحب، فقالوا: ما أقصر ليل الراقد، و ليل المحب بلا آخر.

فهو دائم الأرق والسهر مع حالات الحبيبة الهاجرة أو الراحلة، حيث تنساب عليه الذكريات في هدأة الليل، فتبعثر سكونه وأحزان، خاصة إذا ما فوجئ فراقها له دونما سابق إنذار، يقول الشنفرة مصوراً حالته، وقد ارتحلت حبيبته ولم تسنح له الفرصة بتوديعها:

ألا أمُّ عَمرٍو أجْمَعَتْ فَقَلَّتِ *** وَما وَدَّعَتْ جيرانَها إذْ تَوَلَّتِ
وَقَدْ سَبَقَتْ نَاأمُّ عَمرٍو بأمرِها *** وكانَتْ بأعْناقِ المَطِيِّ أظَلَّتِ
بِعَيْنَيَّ ما أمْسَتْ فَبَاتَتْ فأصْبَحَتْ *** فَقَضَّتْ أُمورالْتَفَقَلَّتْ فَوَلَّتِ

فَوا كَبِدا على أُمَيمةَ بَعْدَما *** ظَمِعْتُ، فَهَيْهاتَ الْعَيْشِ زَلَّتِ (الشعراء الصعاليك،(د– ت)، ص117).

فمعاناة الشنفرة التي تبدو في صدمته، وذهوله من رحيل محبوبته المفاجئ يوحي بتعلقه الشديد بها، وحرصه البالغ عليها، وما استنجاده بتلك العهود، والمواثيق الّا تخليصاً لروحه، وقلبه الجريح من ذلك العذاب الذي ألمَّ به، وليعيد التعاون والتوازن إلى نفسه المضطربة، من خلال تعهده بعدم النسيان ولزوم الذكرى، فها هي ماثلة أمام عينيه يراها حينما يظلها الليل بأستاره، وعندما تبيتُ في جنباته إلى الصبح، مؤكداً على مبدأ الديمومة، والاستمرارية في حبها بعدما فُجع بفقدانها.

ويقول النابغة الذبياني:

أقولُ والنجمُ قد مالتْ أواخرُه *** إلى المغيبِ تثبت نظرةً حارِ
ألَمحَةٌ من سَنا بَرْقٍ رأى بصَوِي *** أم وجهُ نعمٍ بدا لي أم سنا نارِ
بل وجهُ نعمٍ بدا والليلُ معتكِرٌ *** فلاحَ من بينِ أثوابٍ وأستارِ (النابغة الذبياني، 1966، ص237).

فالنابغة أمسى حائراً بعد مغيب شمس ذلك اليوم وظهور نجومه في ليل معتكر لبعده عن مجبوبته حتى شُغل خياله بها فهذا كله قد جعل الحزن والأسى يسيطران على مخيلته.

أما تأبط شراً فما زال منشغلاً في مغامراته العاطفية. فيقول:

*بَطيلَةَ البَجلِيِّ بتُّ مِنَ*ليلِها *** بَينَ الإزارِ وَكَشحِها ثُمَّ لصَقِ
بِأَنيسَةٍ طُوِيَتْ عَلى مَطوِّها *** طَيَّ الحِمالَةِ أَو كَطَيِّ المَنطِقِ (الشعراء الصعاليك،(د– ت)، ص122).

فهو يتغزل في امرأة سباها من بني بجيلة، ويصف تلك الليلة التي قضاها معها لاهياً بها لهو المحب المتيَّم مما يعزز جو اللقاء الليلي المنتظر.

ومن المحبين المتيمين الذين كابدوا الظلام كي يصلوا الى محبوباتهم امرؤ القيس. ويقول في ذلك :

وبَيضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِباؤُها، *** تَمَتَّعْتُ من لَهوٍ بها، غَيرَ مُعجَلِ
تَجاوَزْتُ أَحْراساً إِلَيها وَمَعشَراً *** عَلَيَّ حِراصاً لو يُسِرُّونَ مَقتَلي
فَجِئْتُ، وقد نَضَّتْ لِنَومٍ ثِيابَها *** لَدَى السِّترِ إلاّ لِبْسَةَ المُتَفَضِّلِ (امرؤ القيس، 1984، ص15).

فأمرؤ القيس قد سلك طريقاً شاقاً مغامراً بحياته ليصل إلى محبوبته التي وصفها ببيضة لبخدر في جنح الظلام متجاوزاً كل من كان حولها من أحراسٍ وأهلٍ، فخلا بها وهي قد تهيأت للنوم .

ويقول عنترة بن شداد في لقائه محبوبته :

*** إلى أَن بَدا ضَوءُ الصَباحِ المُبَلَّجِ وَتُبهاَ واللَيلُ أَرخى سُدولَهُ
أُراعي نُجومَ*اللَيلِ وَهيَ *** كَأَنَّها قَوارِيرُ فيها زِئبَقٍ (عنترة بن شداد،1996، ص29).

لقد كان لقاؤه بها في ذلك الليل المظلم الذي صور فيه نجومه بالقوارير المضيئة، لاهياً بمحبوبته إلى ضوء الصباح دليل سعادة وصفاء بينهما.

ويقول الأعشى الكبير عن سهره لمحبوبته:

نَامَ الخليُّ، وبتُّ اللّيلَ مرتفقا *** أَرعَى النّجومَ عَمِيداً مُثْبَتاً أَرِقَا

أسهو لهمّي ودوائي، فهيَ تسهرني *** وكانَ حبٌّ ووجدٌ دامَ فاتّفقا

لاشيءَ ينفعني منْ دونِ رؤيتها *** هلْ يشتفي وامقٌ مالْم يصبْ رهقا (الأعشى الكبير،1972، ص365).

نستشف من قول الشاعر أنَّ ما ألم به من سهرٍ وألمٍ ومراقبة النجوم، بسبب فراقه لمحبوبته، قد أطال ليله و أوجع قلبه فتمنى وجودها معه واحساسها بهذا الألم الذي اعتراه،وكان دليلاً قويّاً لما يلاقيه العاشقون من معاناة وعذاب.

ويوضح أمرؤ القيس لقاءه لمحبوبته ليلاً و أنه قد جاء يسترق الخطى،كأنه حباب الماء حتى دخل على صاحبته، وهدَّأ من روعها، واقسم لها فاجراً أنَّ الجميع ناموا، ثم قال:

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا ... مَصَابِيحُ رُهْبَانٍ تُشَبُّ لِقُفَّالِ

سَلَلْتُهَا بِعَمَا نَامَ أَهْلُهَا ... سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالِ

فَقَالَتْ:سَبَاكَ اللهُ،إِنَّكَ فَاضِحِي، ... أَلَسْتَ تَرَى السُّمَّارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً، ... وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي (ديوان امرؤ القيس، 1984، ص1984).

يصور لنا الشاعر لقاءه بمحبوبته وسط أهلها متحدياً بذلك كل من حولها، مما جعلها تلح عليه بعدم المخاطرة بهذا اللقاء المخيف، مؤكداً لها حتى لو اضطر الأمر إلى قطع رأسه فهو لن يتراجع من هذا اللقاء.

ويقول الأعشى في انتظاره لنوم الرقيب ليدخل على محبوبته:

فَظَلْتُ أَرعاهَا وَظَلَّ يَحوطُها *** حَتّى ذَوَتْ إِذا الظَلامُ ذَنا لَها

فَرَمَيتُ غَفلَةَ عَينِهِ عَن شاتِهِ *** فَأَصَبتُ حَبَّةَ قَلبِها وَطِحالَها

حَفِظَ النَهارَ وَباتَ عَنها غافِلاً *** فَخَلَت لِصاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلا لَها (ديوان الأعشى،1972، ص27).

فالأعشى يراقب من يحرسها حتى إذا غفل عنها دخل على محبوبته في جنح الظلام وكان الذي أراد وكان للقائه معنى.

أما عروة بن الورد فقد شبه ريق محبوبته قبيل نومها بعصير العنب في حلاوته حيث يقول:

فَقَالُوا مَا تَشَهِّي فَقُلتُ أَلَهوُ ** إِلى الإِصْباحِ آثَرِ ذِي أَثيرِ

بِآنِسَةِ الحَديثِ رِضَابُ فيها **بِعيدَ النومِ كالعنبِ العَصيرِ (ديوان عروة بن الورد والسموأل،1982، ص32).

فهو يستمتع طوال الليل مع محبوبته ويستعيد في الوقت ذاته الذكرى التي سلبتها منه الأيام وحملت معها المتعة من خلال وصف ريق المحبوبة وقد لفه الليل بأستاره، وحفظه بظلامه، لعله بذلك يسعى إلى تعميق الإحساس بهذه القيمة الجمالية،والمتعة الحسية التي جعلت من ثغر المرأة المحبوبة مورداً عذباً يلجأ اليه الشاعر العاشق ليلاً.

أما في الطيف

أما طرفه بن العبد يطرق أبواب الخيال إزاء محبوبته مصوراً طيفها يزوره ليلاً مجتازاً كل المخاطر ليصل اليه في ذلك الليل.

يقول:

أَرِقَ العينَ خيال لَمْ يقر *** طافَ والرَّكْبُ بصَحْراءِ يُسُرْ

جازَتِ البيدَ إلَى أرْحُلِنا *** آخِرَ اللّيلِ، بِيَعْفُورٍ خَدِرْ

ثّم زارَتني وصَحْبي هُجَّعٌ *** في خليطٍ بينَ بُردٍ فالشاعر يرى خيالاً لمحبوبته أتعب عينه مجتازاً الصحراء المهلكة ليلتقي به وسط مجموعة من أصحابه النيام مؤكداً بذلك تعلق الشعراء المتيمين بمحبوباتهم حتى ولن كان هذا خيالاً فهم عازمون على التلاقي في ذلك الليل .

ويقول المرقش الأكبر في طيف محبوبته:

سَرى ليلاً خَيالٌ من سُلْمى *** فأَرَّقَني وأصحابي هُجُودُ

فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كـلَّ حالٍ ***وأَرقُبُ أَهْلَهَا وهُم بعيدُ (المفضليات، 1942، ص223).

فالمرقش يعاني الأرق والسهر من خيال سلمى الذي ظل ملازماً له طوال الليل مما جعله يراقب أهلها وهم بعيُد.

ويقول عبيد بن الأبرص:

طاف الخيال علينا ليلة الوادي *** من آل أسماء لم يلمم بميعاد

أنّى اهتديت لركبٍ طال ليلهم *** في سبسبٍ بين دكداك وأعقاد

يطوفون الفلا في كل هاجرةٍ *** مثل الفنيق إذا ما حثه الحادي (ديوان عبيد بن الأبرص، 1957، ص62).

وهاهو عبيد بن الأبرص يطرق ما طرقه صاحباه طرفة والمرقش من زيارة الطيف ليلاً عند وادي سبسب مجتازاً الصحراء ومابها من مجاهل ليصل إلى مراده في استار ذلك الليل.

أما تأبط شراً يقول :

*يَا عيدَ ما لَكَ مِنْ شَوقٍ وإيراقِ *** وَمرِّ طَيفٍ عَلَى الأَهْوالِ طَرَّاقِ*

يسري على الأينِ والحيَّات محتفياً *** نفسي فداؤكَ من سارٍ على ساقِ

يصور الشاعر طيف محبوبته الذي اعتاد على مواصلته حتى في اشد الأهوال وأعظم الخطوب، وقد سرى اليه ليلاً، منتعلاً الحصى حتى أضناه التعب، وأصابه الإعياء، لكنه أبى إلا أن يصل إلى مبتغاه.

و من خاف عيون الأعادي يتخذ الليل سلماً على حد تعبير بعضهم.

*فَقَالَتْ كَذَاكَ الْعَاشِقُونَ يَمَسُّ يَخَفْ *** عُيُونَ الأَعَادِي يَجْعَلِ اللَّيْلَ سُلَّمَا* (مصارع العشاق، (د- ت)، ص2-7) فالشاعر يؤكد لنا في هذا البيت أن الليل هو الزمن الذي يتخذه العاشقون الوعاء الحامي للتلاقي مع عاشقيهم والستار الواقي من

كيد الوشاة والأعادي.

وهكذا لم يكن الليل وعاءزمنياً فقط، بل له معاني ودلالات عميقة، جسدها الشعراء من خلال استشعارهم لتلك اللذة القابعة في زوايا اللقاء الليلي بمحبوباتهم حقيقة وخيالاً، والمعاناة التي تتسم بالطمأنينة والقلق والخوف حيناً، ومن انقضاء نعيم اللذة التي يجدها مع محبوبته حيناً آخر، وسرعان ما تتبدد مع انتهاء ساعات الليل وفناء لحظاته.

النتائج:

1- إنّ الليل كان باعثاً للألام والهموم والأحزان من خلال الفراغ الذي يعيشه الشاعر من فراق و انتظار وغيره

2- وكذلك كان الليل ساحة لإبراز صور الشجاعة والإقدام وتحدي لما يعتري المسافر من صحاري وقفار.

3- ويعتبر الليل مبعثاً للسعادة وصفاء القلب من خلال تلاقي العاشقين وما يتخيله الشاعر ومن طيف.

التوصيات:

1- على الباحثين أن يعطوا هذه الظاهرة (الليل)قدراً كافياً من الأهمية لما تحمله من معانٍ ودلالات لغوية ثرَّة.

2- يجب على الدارسين الوقوف على العصر الجاهلي بما يحويه من كنوز في العلم والمعرفة.

3- من الممكن أن تضع الكليات منهجاً لدراسة كل ظاهرة من ظواهر الشعر الجاهلي على حدى مثل (الليل و الخوف و الكرم ..الخ) حتى يتذوق الدارس المعاني والدلالات القيمة التي تركها الشعراء الجاهليون في ذاك العصر.

المصادر والمراجع:

1. أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي: ابن سيده، دار الكتب بيروت(د.ت) المجلد الثاني ، السفر التاسع.
2. أبو محمد عبدالله بن مسلم : ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة، دار المعارف (1981).
3. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : ابن منظور، نثار الأزهار في الليل والنهار، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت (1981م) .
4. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: ابن منظور، لسان العرب ، دارصاد بيروت (د. ت) المجلد الحادي عشر.
5. محمد بن أحمد: الأزهري، تهذيب اللغة : تحقيق: ابراهيم الإيباري، دار الكاتب العربي، الظاهرة (1967م)، ج15.
6. بطرس: البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ، بيروت (1977م)
7. ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق : الدكتور محمد حسين.
8. ديوان الصعاليك ، (تأبط شّراً)، شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجيل ، بيروت.
9. ديوان امرؤ القيس، شرح وتحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .
10. ديوان رؤبة بن العجاج ، تصحيح: وليم بن الورد، (1903).
11. ديوان شعر المثقب العبدي، تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي.
12. ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: د. حسين نصار، (1957) ط1.
13. ديوان عدي بن زيد العبادي، ت: محمد جبار المعيبد.
14. ديوان عمرو بن ربيعة، تحقيق: فائز محمد.
15. ديوان عنترة بن شداد – تحقبق محمد سعيد مولوي.
16. شرح ديوان الأعشى الكبير، حنى ناصر الحتى، ت: كامل سليمان، (2003) .
17. الشعراء الصعاليك، يوسف خليف، دار المعارف.
18. الشعراء الصعاليك ، (ديوان الشنفرى) ، تقديم : طلال حرب، الدار العالمية ، بيروت(د.ت).
19. الشعراء الصعاليك ، (ديوان عمرو بن براق) ، تقديم : طلال حرب، الدار العالمية ، بيروت(د.ت).
20. لويس شيخو اليسوعي، شعراء النصرانية قبل الاسلام، دار المشرق العربي (1999) .
21. عبد البديع لطفي: عبقرية العربية في روئية الإنسان والحيوان والسماء والكواكب، مكتبة لبنان بيروت (1997)،

22. عمر الدسوقي، النابغة الذبياني، دار الفكر، القاهرة (1966).
23. أبو علي بن المستنير : قطرب ، كتاب الأزمنة وتلبية الجاهلية، تحقيق:حنّا جميل حداد، مكتبة المنا،لأردن (1985م).
24. أبو علي بن المستنير : قطرب، الأضداد، تحقيق : حنا حداد، الرياض(1984م).
25. أبو الطيب عبد الواحد بن علي: اللغوي، الأضداد في كلام العرب ، تحقيق: عزت حسن، دمشق(1963م).
29. جعفر بن أحمد بن الحسين السراج: مصارع العشاق، تحقيق: محمد حسن محمد حسن، دار صادر . i.
26. المفضل بن محمد بن يعلى: المفضليات، تحقيق: أحمدمحمد شاكر.
27. عبدالمعين: الملوحي ، موسوعة اشعار اللصوص واخبارهم ، دار الحضارة الجديدة ، بيروت (1993م) ، المجلد الثاني ، ج3.
28. ايليا حاوي: النابغة الذبياني: سياسته – وفنه – ونفسيته، ت، محمد الطاهر بن عاشور (1970) .
29. اليوسف يوسف : مقالات في الشعر الجاهلي ، دار الحقائق، بيروت (1985).
30. عائشة عبدالرحمن: بنت الشاطئ، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة
31. ديوان طرفة بن العبد: شرح، محمد مهدي ناصر (2002)، ط3.
32. أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر (1979).
33. إسماعيل بن حماد: الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت (1990)، ط4.
34. شمس الدين محمود بن عبد الرحمن: الأصفهاني، بيان المختصر، ت: علي جمعة (2004) ، ط1.
35. تقي الدين محمد بن أحمد: ابن النجار، ت: د. محمد الزحيلي و نزيه حماد، (1998)، ط2.
36. محفوظ بن أحمد بن الحسن: الكلوذاني، ت: د. مفيد محمد أبو عمشة، (1985)، ط1.
37. دلدار غفور حمد أمين: البحث الدلالي في المعجمات الفقهية المتخصصة، دار دجلة، الأردن (2007).
38. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب (د– ت).
39. محمد السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر (د– ت).
40. عبد الغفار حامد هلال: علم الدلالة اللغوية، دار الكتاب الحديث، القاهرة (2013).
41. ديوان طرفة بن العبد: شرح يوسف الأعلم الشنتمري، ت: درية الخطيب.